

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين
هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

A Reconsideration of Environmental Anthropology in the Age of the Anthropocene Are cultural and intellectual transformations more necessary than environmental ones?

شالة عبد الرحمان¹، ناشي خولة²

¹ جامعة بسكرة (الجزائر)، abder.chala@univ-biskra.dz

² جامعة بسكرة (الجزائر)، khaoula.nachi@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/15 تاريخ القبول: 2025/12/21 تاريخ النشر: 2025/12/31

Abstract

ملخص

In the era of the Anthropocene, the impact of human activity and its dominance over the environment has become clearer than ever, as questions are renewed: Does the solution lie in environmental changes or in a reformulation of our cultures and our thinking in dealing with the environment? This article aims to address the need to rethink environmental anthropology in light of the Anthropocene, With a focus on the interaction between cultural and intellectual perceptions; The importance of this study highlights the role of environmental anthropology and how it can reshape the concepts of culture and environment, because it is not limited only to understanding environmental impacts from a scientific or technological perspective, but rather reconsiders the role of human culture and how to reshape this culture within the intellectual context. This study concluded that cultural and intellectual changes are necessary to respect the environment. Therefore, environmental anthropology in the Anthropocene era calls for rethinking the relationship between humans and nature, and environmental changes cannot be fully achieved without transformations at the levels of thought, as a structure with sociocultural practices that carry symbolic meanings and connotations.

Keywords: environment; environmental anthropology; Anthropocene; Socio-cultural practices

في عصر الأنثروبوسين، أصبح تأثير النشاط البشري وهيمنته على البيئة أكثر وضوحًا من أي وقت مضى، حيث تتجدد التساؤلات: هل الحل يكمن في تغييرات بيئية أم في إعادة صياغة لثقافتنا وتفكيرنا في التعامل مع البيئة؟ يهدف هذا المقال الى الحاجة لإعادة التفكير في أنثروبولوجيا البيئة في ضوء الأنثروبوسين، مع التركيز على التفاعل بين التصورات الثقافية والفكرية؛ فأهمية هذه الدراسة تبرز دور الأنثروبولوجيا البيئة كيف لها أن تعيد تشكيل مفاهيم الثقافة والبيئة، لأنها لا تقتصر فقط على فهم التأثيرات البيئية من منظور علمي أو تكنولوجي، بل تعيد النظر في دور الثقافة البشرية وكيفية إعادة تشكيل هذه الثقافة ضمن السياق الفكري. خلصت هذه الدراسة إلى أن التغييرات الثقافية والفكرية ضرورية لاحترام البيئة، بالتالي تدعو أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين إلى إعادة التفكير في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، ولا يمكن تحقيق التغيرات البيئية بشكل كامل دون التحولات على مستويات الفكر، باعتبارها بنية ذات ممارسات سوسيوثقافية تحمل معاني ودلالات رمزية.

كلمات مفتاحية: البيئة؛ أنثروبولوجيا البيئة؛ الأنثروبوسين؛ الممارسات السوسيوثقافية.

المؤلف المرسل: خولة ناشي، الإيميل: khaoula.nachi@univ-biskra.dz

1. مقدمة

يشهد العصر الحالي تحولات بيئية غير مسبقة، أصبح الإنسان هو المحرك الأساس للتغيرات البيئية التي تشهدها الأرض. وتتداخل البيئة مع الثقافة البشرية بشكل معقد وعضوي، فهي ليست مجرد فضاء جغرافي يحيط بالإنسان أو مساحة مادية، بل جزء لا يتجزأ من نسيج حياته اليومية نظرا لتنوع مكوناتها الطبيعية والاجتماعية، فهي تشكل فضاء اجتماعيا مفعما بالمعاني والقيم الرمزية التي تنعكس على سلوكيات الإنسان وممارساته الثقافية. إن عصر "الأنثروبوسين" كما يشار إليه يعبر عن الحقبة الزمنية التي بدأ فيها تأثير الإنسان على النظام البيئي لكوكب الأرض، إذ أصبح للإنسان تأثير قوي على الطبيعة. هذا التفاعل المتبادل بين الإنسان وبيئته يعكس رؤية أعمق للعالم حوله، مما يجعل العلاقة بينهما ديناميكية، تتأثر بالثقافة، المعتقدات، والسياسات التي تحدد أسلوب الحياة البشرية.

من خلال هذه الزاوية، تبرز الأنثروبولوجيا البيئية كأداة تحليلية قادرة على إعادة التفكير في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، مستعرضة تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على البيئة وعلى كيفية تعامل الأفراد والمجتمع معها. ففهم البيئة لا يتوقف عند حدود الأرض والطبيعة، بل يتعدى ذلك إلى كيفية بناء الإنسان لهذا الفضاء الاجتماعي عبر ممارساته اليومية، وكيفية مساهمة هذه الممارسات في تشكيل رؤية المجتمع للعالم الطبيعي.

هذا التحليل يتحدى النظرة التقليدية للبيئة كعنصر ثابت ومعطى طبيعي، ويظهرها كفضاء حي متغير غير ثابت، يتشكل ويتفاعل باستمرار مع الثقافات المختلفة. من هنا، نكتشف كيف أن البيئة هي جزء لا يتجزأ من الأنماط الثقافية التي تحكم المجتمعات البشرية، وكيف يمكن للأنثروبولوجيا أن تساهم في إعادة تعريف العلاقة بين الإنسان وبيئته وطرق تفكيره نحوها.

2. إشكالية الدراسة:

الإشكالية المتعلقة بإعادة التفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين تشير إلى ضرورة إعادة تعريف العلاقة بين الإنسان وبيئته في ظل التحولات البيئية العميقة، يثير هذا الموضوع العديد من التساؤلات الجوهرية حول دور وعلاقة الإنسان بالبيئة وحقيقة تأثيره عليها. ففي أحد الأبعاد، يُنظر إلى البيئة كفضاء مادي يعكس قوانين الطبيعة التي لا يمكن للإنسان تجاوزها أو التحكم فيها بالكامل، وهو ما يُرجع فيه الإنسان إلى ضرورة التكيف مع هذه القوى البيئية من أجل البقاء. لكن من منظور آخر، تطرح

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

الأنثروبولوجيا البيئية سؤالاً أكثر عمقاً، حيث تُبرز البيئة كنتاج تفاعلي للإنسان والمجتمع، وليست مجرد سياق خارجي ثابت، بل هي مجال يتم تشكيله بشكل مستمر من خلال ممارسات الإنسان الثقافية والاجتماعية إذن، تكمن الإشكالية بين الرؤيتين: كيف يمكن لأنثروبولوجيا البيئة أن تتأقلم مع التحديات الجديدة التي يفرضها عصر الأنثروبوسين، في ظل التأثيرات المتزايدة للأنشطة البشرية على البيئة؟

3. أهمية الدراسة والأهداف:

اختيار هذا الموضوع يعد بالغ الأهمية من زاويتين رئيسيتين: الأولى تتعلق بضرورة إعادة التفكير في العلاقة التقليدية بين الإنسان والبيئة، والثانية مرتبطة بالحاجة إلى دمج البُعد الثقافي والاجتماعي في تحليل القضايا البيئية المعاصرة، إذ يتضح أن هذا الموضوع يحمل أهمية جدلية كبيرة لأنه يربط بين البيئة كُبعد مادي والإنسان ككائن ثقافي واجتماعي، مما يساهم في تحفيز نقاشات جديدة حول كيفية التفاعل مع البيئة في عصرنا الحالي. يكمن الهدف من هذه الدراسة في: إعادة التفكير في مفهوم البيئة على أنها لا تُقتصر فقط على الفضاء الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان، بل هي أيضاً فضاء اجتماعي وثقافي تتداخل فيه ممارسات الإنسان وتصوراته. إضافة إلى تعزيز الفهم الشامل والشمولي للعلاقة بين الإنسان وبيئته، وتقديم منظور أنثروبولوجي يساهم في إيجاد حلول بيئية تدمج بين المعرفة الثقافية واحتياجات البيئة.

4. مفاهيم الدراسة:

- أنثروبولوجيا البيئة **Environmental Anthropology**: تُعرف الأنثروبولوجيا البيئية على أنها "دراسة التفاعلات البشرية مع الطبيعة، ويمكن أن تُشكل أساساً لفهم كيفية مساهمة المجتمعات البشرية، في الماضي والحاضر، في تلك التغيرات البيئية المحلية والعالمية واستجاباتها لها، وقد ركز علماء الأنثروبولوجيا البيئية تقليدياً على كيفية تكيف البشر مع بيئاتهم من خلال التكيف الثقافي والبيولوجي" (Ujjal Kumar Sarma et all, 2012, p. 3)، فهي تُعنى بفهم ذلك التفاعل المتبادل والعلاقة القائمة بين الإنسان وبيئته الطبيعية، من خلال دراسة تأثير العوامل البيئية في حياة المجتمعات، وأنماط سلوكها، وبنيتها السوسيوثقافية، بالتالي فهي تبحث في الكيفية التي يُعيد بها الإنسان تشكيل بيئته واستغلال مواردها عبر ممارساته الثقافية وغيرها.

- الأنثروبوسين **Anthropocene**: يشير هذا المفهوم إلى عصر تأثير الأنشطة البشرية، واحداث تغييرات على البيئة الطبيعية، حيث يمثل "تغيراً جوهرياً في العلاقة بين البشر ونظام

الأرض" (Simon L. Lewis, 2015)، اذ يتميز عصر الأنثروبوسين بأن الانسان أصبح القوة الأساسية التي تُحدث تغييرا على كوكب الأرض، أكثر من القوى الطبيعية نفسها بمختلف تدخلاته وممارسة أنشطته، حيث أصبح له تأثير عميق وواسع النطاق على (الهواء، التربة، المياه....)، حيث يدعو هذا العصر الى دعوة التفكير في مسؤولية وعلاقة الانسان بالأرض والمكان.

5. هل يحق للبشر استغلال الأرض؟

في وقت يشهد فيه كوكب الأرض تحديات بيئية غير مسبقة، يتصاعد الجدل حول المسؤولية البشرية اتجاه البيئة؛ قد نعتقد أن البيئة قضية تهم الجميع، لكنها في الواقع أكثر من ذلك: إنها صراع بين مفهومات عديدة، القوة، الاستدامة، والتطور الثقافي. من منظور أنثروبولوجي، يمكننا أن نتساءل: هل يحق للبشر استغلال الأرض بالكيفية التي نراها اليوم؟ هل يمكننا العيش في تناغم مع البيئة، أم أن هذا مجرد خرافة في عالم تحكمه الأنظمة الاقتصادية والتطورات التكنولوجية؟

تطورت المجتمعات البشرية في تفاعل مع الطبيعة، لكن التاريخ الأنثروبولوجي يعكس دائما حكاية استعمارية للطبيعة، في معظم المجتمعات القديمة، كان الإنسان يعامل البيئة كمصدر للموارد لا أكثر، لم يكن هناك اعتبار كبير للتوازن البيئي أو بما يسمى اليوم الاستدامة. فحتى المجتمعات الزراعية، التي كانت تعتمد على التفاعل الوثيق مع الأرض، كانت تتجنب نوعا ما استنزاف الموارد الطبيعية. يبدو أن الإنسان، على مر العصور، كان يقيم نوعا من الارتباط السلطوي مع الطبيعة.

مع التقدم التكنولوجي الصناعي، ازدادت قدرة الإنسان على تغيير البيئة بشكل جذري، فالיום تعتبر أنثروبولوجيا البيئة بمثابة "مساحة مفتوحة" يمكننا الاستفادة منها وفقاً لاحتياجاتنا المتزايدة، من هذا المنطلق، فإن المجتمعات المعاصرة، التي تبنت نمط الحياة الاستهلاكي، قد تتبنى تصورا واضحا مفاده أن الاستغلال المكثف للموارد الطبيعية هو حق بشري مشروع؛ إلا أن هذه الفكرة تتعارض مع الكثير من المبادئ الثقافية التي تراعي العلاقة التكاملية بين الإنسان والطبيعة، كما نراها في المجتمعات الأصلية انطلاقا من مبدأ التوازن والاحترام، حيث كان للبيئة مكانة مقدسة تتداخل فيها مفاهيم الانتماء، الهوية الثقافية والروحانية، ولا يتم استغلال الموارد كما في النظم الاقتصادية الحديثة، بل يتم استخدامها بشكل دوري وبتنظيم دقيق يتماشى مع دورة الحياة الطبيعية.

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

في هذا السياق، لا نكتفي اليوم بدراسة هذه الممارسات؛ بل نتساءل: هل نحن اليوم بحاجة إلى العودة إلى هذه الأساليب التقليدية؟ هل يمكن للعالم المعاصر أن يستعيد التوازن البيئي المفقود عن طريق تبني هذه القيم الثقافية القديمة؟ الإجابة قد تكون معقدة نوعاً ما، فبينما يتطلب العصر الحديث حلولاً تكنولوجية مستدامة، تبقى قيمة الفلسفات الثقافية الأصلية في احترام الأرض وتفهم عواقب استخدام الموارد كدعوة لإعادة التفكير في استراتيجياتنا البيئية وإعادة وإحياء جانب من تفكيرنا حول أنثروبولوجيا البيئة.

6. الإنسان والبيئة: صراع أم تعاون؟

تبرز الأنثروبولوجيا الثقافية في هذا السياق أن هذه النظرة قد تكون مرتبطة بعلاقة طويلة الأمد بين الإنسان والطبيعة، حيث تطورت أشكال من المعرفة التقليدية التي تتيح للإنسان استغلال الموارد الطبيعية بطرق تحافظ على استدامتها. حيث كان يتم فهم علاقة الإنسان مع الأرض كعلاقة تكاملية؛ الإنسان جزء منها، وعلى هذا الأساس تتسم الممارسات البيئية بالاحترام والحفاظ على التوازن الطبيعي. وليس هذا فحسب، بل وكانت مجتمعاتنا التقليدية تتحمل مسؤولية ثقافية وخاصة أخلاقية اتجاه الطبيعة أثناء ممارساتها لجميع نشاطاتها اليومية. فإن العودة إلى التصورات الثقافية القديمة التي تحترم الأرض وتعاملها ككائن حي هو تحدٍ ثقافي أكبر، فهل سيستطيع الإنسان أن يتحرر من هذه العقلية الاستهلاكية ويعيد بناء علاقة أكثر قدسية واحتراماً مع البيئة؟

عندما نرى اليوم الكوارث البيئية الحالية، من تغيرات مناخية إلى تلوث المحيطات، يصبح السؤال الأنثروبولوجي أكثر إلحاحاً: هل يمكن للبشر أن يستمروا في النمو والتطور بنفس الطريقة التي قاموا بها خلال القرون الماضية؟ أو أن الحاجة الملحة لإعادة تقييم نمط حياتنا وتفكيرنا في البيئة قد تكون قد حانت بالفعل؟

من منظور الأنثروبولوجيا البيئية، لا يمكن رؤية العلاقة بين الإنسان والبيئة على أنها علاقة منفصلة أو معزولة. فالبشر ليسوا فقط مستخدمين للموارد، بل هم جزء لا يتجزأ من الأنظمة البيئية. ما يحدث للطبيعة يحدث لنا، والعواقب البيئية لا تعكس فقط مشاكل في النظام البيئي، بل مشاكل عميقة في النظام الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي يعتمد على هذه الموارد، حيث قدم Julian Steward فكرة أن الثقافات تتكيف مع بيئاتها الطبيعية بطريقة تساهم في بقاء واستمرارية المجتمعات. وقد أشار steward إلى هذا في تعريفه للايكولوجيا الثقافية "بأنها الدراسة التي توضح كيف المجتمع لبيئته" (Al-Abhasi)

(2015, p. 28) حيث يرى أن هناك علاقة ديناميكية بين البيئة الثقافية والبيئة الطبيعية، وأن الأنماط الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية للمجتمعات تتطور كاستجابة للموارد الطبيعية والبيئية المتاحة.

يشير التحليل الأنثروبولوجي إلى أن الإنسان لا يمكنه الاستمرار في استغلال الطبيعة بشكل متسارع دون عواقب، هذا الاستغلال غير المتوازن قد يؤدي إلى اختلالات بيئية تهدد وجودنا؛ وفي الوقت نفسه، فإن البحث في الثقافات الأصلية يشير إلى ضرورة التفكير في مفاهيم جديدة، تسمح بالاستدامة مع التقدم، يطرح التحليل الأنثروبولوجي تساؤلات عن طريقة تعاملنا مع البيئة في عالم معاصر يتسم بالاستهلاك المفرط والتغيرات البيئية السريعة، هل نحن على استعداد لتحمل المسؤولية عن الأرض كما فعل أسلافنا؟ هل يجب أن نعيد تعريف علاقتنا مع الطبيعة لتجنب كارثة بيئية؟ أم أن السعي وراء التقدم الاقتصادي والتكنولوجي سيظل هو الهدف الأساسي، فالبيئة ليست مجرد مساحة جغرافية أو موارد طبيعية فحسب؛ هي جزء أساسي من هوية البشر وممارساتهم الثقافية؛ لذا فإن التصور الأنثروبولوجي يعكس ليس فقط التحديات البيئية، بل التحديات الثقافية والاجتماعية التي نواجهها في محاولتنا للتوازن البيئي.

نجد أن التفكير من منطلق أنثروبولوجيا البيئة قد يتجاوز قضايا علمية أو اقتصادية ليغرق في أبعاد ثقافية واجتماعية فلسفية أكثر تعقيداً. فالسؤال المحوري هنا هو: هل الإنسان هو من يهدد البيئة بفعل سلوكه الاستهلاكي والاقتصادي، أم أن البيئة نفسها جزء من عملية تشكيل الإنسان الثقافي والاجتماعي؟ ومن خلال هذا التساؤل، نفتح المجال لفهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والطبيعة عبر التاريخ.

7. البيئة والطقوس المجتمعية: افتعال المعنى أم اختراع رمزية!

هل للطقوس مكان في تفكيرنا وإدراكنا وتصرفنا اتجاه البيئة لإدراك المعنى؟ من هذا المنظور، تظهر الطقوس كمهارات وممارسات وعادات في أماكن محددة حيث يمكن أن تظهر المعنى والانتماء. على هذا النحو قد يستحق استخراجها بشكل أعمق فيما يتعلق بقوتها المحتملة، الطقوس يمكن التعبير عنها بأنها ممارسات سوسيو-ثقافية تستدعي العلاقات المنظمة بين البشر والمصادر أو الأشياء غير المباشرة للقوة والسلطة والقيمة. فهي مبنية على التقاليد وضرورة التعبير عن الذات البشرية، هي الإجراءات التي تحول الممارسة إلى طقوس التي تحدث عادة في احتفالات اجتماعية أو فردية أو في ممارسات دينية....، ليصبح بعدها الفرد أكثر وعياً بالترابط بين الإدراك والتفكير والتصرف حول حقيقة الأشياء.

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

الحديث عن الطقوس المجتمعية أو العادات اتجاه البيئة، هي تُعبر عادة عن ممارسات اجتماعية مفعمة بالرمزية والدلالة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة ومواردها، وتُعتبر انعكاساً لعلاقة الإنسان بالعالم الطبيعي من خلال البُعد الروحي والديني....، تشكل هذه الطقوس تعبيراً حياً عن القيم المجتمعية التي تربط الأفراد بمحيطهم الطبيعي، وتلعب دوراً رئيسياً في الحفاظ على توازن البيئة وفهم العلاقات الإنسانية مع الطبيعة. وعليه " لا تعتبر الطقوس تعبيرات ثقافية وروحية فحسب، بل هي أيضاً أدوات لتحقيق ذلك للحفاظ على البيئة والطبيعة. لقد تطورت مجتمعات مختلفة في جميع أنحاء العالم طقوس محددة تؤكد على أهمية الحفاظ على النظم البيئية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من طريقة الحياة" (Prasetyo, 2023, p. 2).

فالأماكن التي ترتبط بالرمزية الدينية تكون حاضنة للطقوس التي تضمن تواصل الإنسان مع العالم الروحي، حيث نجد أن المجتمعات غالباً ما تكون في تناغم مع البيئة والأرض بفضل معرفتهم التقليدية لها وعاداتهم المتكررة نحوها. أعرب راد كليف براون عن وجهة نظر مماثلة عندما علق على أن الطقوس تحافظ على نظام معين، يتم من خلاله تنظيم سلوك الفرد بما يتوافق مع احتياجات المجتمع، أي أشار إلى الوظيفة التي تؤديها هذه الممارسات في المجتمع، حيث يرى " إن وظيفة أي نشاط متواتر هو الدور الذي يلعبه هذا النشاط في الحياة الاجتماعية ككل. ومن ثم المساهمة في الحفاظ على استمرار البناء.. فمدلول الوظيفة في هذا التعريف هو المساهمة التي يقدمها نشاط جزئي للنشاط الكلي" (الهادي، 2019، صفحة 9)

يمكن للطقوس أن تكون وسائل لتعزيز الانتماء والشعور بالاستقرار النفسي، إذ توفر إطاراً جماعياً يُساهم في الشعور بالترابط. لكن في المقابل، ومن وجهة نظر أخرى قد تُعتبر هذه الطقوس والبيئة المُحاطة بها مجرد تمثيلات ثقافية مُصطنعة تهدف إلى خلق معانٍ محددة قد لا تكون بالضرورة متوافقة مع تجارب الأفراد الشخصية، قد لا تعكس بالضرورة المعاني الحقيقية والعميقة للأفراد، بل هي ممارسات اجتماعية تهدف إلى خلق معنى مشترك أو تعزيز الهوية الجماعية في سياقات محددة. في بعض الأحيان، يتم إضفاء معانٍ على أشياء أو ممارسات لا تحمل بالضرورة دلالة واضحة. على سبيل المثال، يمكن للمجتمع أن يخلق "رمزية" جديدة لحدث معين أو احتفال معين وذلك بهدف تقوية الروابط الاجتماعية أو لتعزيز هوية معينة. هذه الرمزية قد لا تكون لها جذور عميقة في التاريخ أو حتى في الثقافة الفعلية، لكنها تُستخدم كوسيلة لتعزيز شعور الجماعة بالقيمة أو الوحدة.

البيئة بالنسبة للإنسان تعد جزءا لا يتجزأ من فهمه للعالم، لذلك تُمنح العناصر الطبيعية مثل الأرض، والماء، والهواء، والحيوانات.... رموزًا ثقافية وروحية، تُستخدم لفهم علاقة الإنسان بالعالم المحيط به، تُعتبر البيئة في العديد من الثقافات أكثر من مجرد مكان مادي للعيش؛ فهي رمز للحياة، الخصوبة، التوازن، والصراع....، من خلال هذه الرمزية، نرى كيف أن الإنسان في كل ثقافة يخلق معنى خاصًا لعلاقته بالطبيعة، ويعكس هذا المعنى في طقوسه، معتقداته، واحتفالاته. لذلك تعد مسرحا للتفاعلات الاجتماعية، إضافة إلى ارتباط العديد من الطقوس الرمزية والممارسات الثقافية بتغيرات البيئة الموسمية، كاحتفالات الحصاد في المجتمعات الزراعية وغيرها....

يمكننا القول قد تعتبر معظم الطقوس المجتمعية في الجزائر هي مزيج من اختراع الرمزية وصولا إلى افتعال المعنى، أي أن المجتمع هو الذي يمنح الطقوس رمزية معينة ويحملها دلالات ومعاني خاصة وأنها نابعة من ثقافته وتاريخه، حيث تتجلى الرمزية في كيفية تطبيق هذه الطقوس على الأرض، وماذا تعني للمجتمع؛ فالطقس لا يكون مهمًا بذاته، بقدر ما يمثل من قيم، الانتماء، هوية الجماعة، وغيرها؛ في حين أن افتعال المعنى له، قد يتجسد في كيفية تكرار هذه الطقوس واختيار بعض عناصرها بمرور الزمن لإعطاء المزيد من الأهمية لهذه القيم، وقد تكون ربما بشكل مفتعل أو إعادة إنتاجه، فقد تتغير هذه الطقوس مع الوقت بناءً على تطور العقلية البشرية وتبعًا للتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، لكنها في نفس الوقت، تظل ثابتة في أبعاد رمزية تدور حول مفاهيم الهوية وقيم الانتماء.

8. من الطبيعي إلى المقدس رؤية تدمج البعد السوسيوثقافي في فهم البيئة:

هي فكرة تعني أن البيئة ليست مجرد مجموعة من العناصر الطبيعية المادية التي يعيش فيها الإنسان، بل هي أيضًا جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والثقافي الذي يشكل الحياة الإنسانية. من هذه الزاوية، يمكن أن تكون البيئة فضاء اجتماعيًا يعكس التفاعلات بين الإنسان والمكان. إن طبيعة فهم تحولها من الطبيعي إلى الاجتماعي يتطلب تحليلًا عميقًا يعيد النظر في العلاقات الإنسانية مع الطبيعة ذاتها، متخطين ذاك الفهم التقليدي لهذه العلاقة، من خلال الجمع بين الأبعاد الاجتماعية والثقافية في دراستها، نجد أن تفاعلات الإنسان مع محيطه الطبيعي تتجاوز حدود الفضاء المادي لتصبح جزءًا من الهوية الثقافية التي تشكل مختلف سلوكياته، مع تلك التغيرات التي تشهدها المجتمعات البشرية.

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

يُعتبر تفاعل الإنسان مع البيئة أكثر من مجرد علاقة بسيطة تجمع الكائن البشري بمحيطه الطبيعي، من زاوية تفكير أنثروبولوجي، يمكننا فهم البيئة كمساحة يتداخل فيها البُعد الطبيعي مع البُعد الاجتماعي والثقافي، إذ نفهم من أن البيئة ليس فقط مجالا طبيعياً يتأثر به الإنسان، بل ميدانا للتفاعلات الاجتماعية والثقافية التي تُعيد تشكيل هذا الفضاء، تُظهر الرؤية الأنثروبولوجية لها بأنها علاقة متأثر وتأثر، بحيث أنها علاقة ليست فقط مرتبطة بالاحتياجات البيئية، بل تتأثر بالقيم والمعتقدات الثقافية والاجتماعية التي تحدد كيفية استجابة الإنسان للطبيعة وكيفية استخدامه للموارد.

مثلما ذكر في الفكر الأنثروبولوجي لدى Claude Lévi-Strauss أو Bronislaw Malinowski، لا يمكن فهم الإنسان دون البيئة التي يحيط بها، كان هناك توافق دقيق بين الإنسان وموارد بيئته، حيث ارتبطت الأنماط الثقافية، سواء في الأدوات أو أساليب الحياة أو المعتقدات، ارتباطاً مباشراً بالبيئة الطبيعية، كونها جزءاً من النفس الجماعية للمجتمعات، ومكوناً أساسياً في هوية كل مجموعة إنسانية، أما J. Steward {1902، 1972} فقد "نظر الى الثقافة من زاوية تفاعلها مع البيئة لتحقيق التكيف، وحل عملية التفاعل بين العوامل البيئية والثقافية" (فتيحة و مصطفى حمدي، صفحة 31)، ما يميز وجهة نظر Steward هو تركيزه على التفاعل المتبادل بين البيئة (الظروف الطبيعية مثل المناخ، والتضاريس، والموارد الطبيعية) والثقافة (النظم الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية)، إذ يرى بأن البيئة هي التي تحدد كيف ستتطور الثقافة، بينما في الوقت نفسه، تقوم الثقافة بتشكيل طرق تفاعل الإنسان مع بيئته؛ أي أنها تؤثر على أنماط الحياة الثقافية، ولكن هذه الأنماط الثقافية هي التي بدورها تشكّل كيفية تفاعل الفرد مع بيئته.

من خلال الرؤية الرمزية السوسيوثقافية التي تشير إلى الطريقة التي يعبر بها البشر عن أنفسهم ويتفاعلون مع محيطهم من خلال الرموز والعادات والطقوس. يعتبر Clifford Geertz أحد رواد الأنثروبولوجيا الثقافية، الذي اعتبر أن الثقافة هي "نظام من الرموز" التي تشكل فهم الإنسان للواقع، وهذا الفهم الرمزي يشمل كيف يمكن أن يميز به البشر بين ما هو "طبيعي" و"ثقافي"، وكيف يُعيدون تشكيل بيئتهم الطبيعية بناءً على تصوراتهم الثقافية عن العمل والمكان والزمان. فالإنسان لا يرى البيئة كما هي في طبيعتها، بل يعيد بناءها وفقاً للمعايير الثقافية التي تمثل جزءاً من فهمه للعالم، ومثال على ذلك هو تطرقه للنظام الديني كنظام ثقافي يُمكن أن تمثل الطقوس الدينية فصلاً بين المقدس والعادي، حيث يتعامل الناس

مع أماكن معينة كأماكن مقدسة. إذ يمكن هنا أن تتغير قواعد التعامل مع البيئة. فالدين يُقدّم أطراً رمزية تجعل الأفراد يتعاملون مع الأرض والطبيعة كمقدسات، وهذه الرؤية تساهم في خلق علاقة مستدامة مع البيئة.

إن منزلة البيئة في بنية المقدس نجدها في الدين الإسلامي والشرائع السماوية الأخرى، يتم النظر إلى الإنسان كـ "خليفة" في الأرض، وهو مفهوم يعزز من فكرة أن الإنسان يجب أن يعامل البيئة بحذر واحترام، "هذا تعبير صريح على أن الإنسان هو المسؤول الأول على الأرض باعتباره المحور الأساس في الحكمة الإلهية من فعل الخلق، والتوسل بالممارسة الجينيةالوجية حول مسألة خلافة الانسان، وأنه مطالب بالاستثمار فيها وتطويرها والمحافظة عليها" (دلوم، 2017، صفحة 2)، ودليلاً عن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، الآية 30)، هذا المفهوم يعكس الارتباط بين المقدس والبيئة. إن فهم البيئة من خلال المقدس يتيح لنا تصور علاقة الإنسان بالطبيعة من خلال عدسة الثقافات والمعتقدات الدينية.

المقدس هنا لا يُعتبر مجرد مفهوم ميتافيزيقي أو ديني بحت، بل هو جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية مع البيئة، فالطبيعة في هذه الحالة ليست مجرد مجال مادي بل تُعتبر محيطاً مليئاً بالرموز التي تُنظم حياة البشر. يتم تفسيرها حسب المعايير الدينية التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية، فهنا تصبح البيئة مجالاً يتم من خلاله تشكيل الهوية الجماعية والتفاعل الاجتماعي. هذه التحولات تجعل البيئة ليست مجرد سياق مادي، بل هي فاعل ثقافي واجتماعي يعكس قيم المجتمعات ويؤثر في حياتها اليومية. مما سبق ذكره فإن التحول من الطبيعي إلى الاجتماعي في البيئة لا يتعلق فقط بالتغيرات البيئية الملموسة، بل أيضاً بإعادة تشكيل هذا العالم الطبيعي ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية التي تحدد كيف يعيش الإنسان في بيئته وكيف يتفاعل معها.

9. إعادة التفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين.

من زاوية أنثروبولوجية، يمكن النظر إلى "الأنثروبوسين" {Anthropocene} باعتباره مرحلة فارقة في تطور العلاقة بين الإنسان وبيئته، الأنثروبوسين ليس مجرد فترة زمنية تُميز التغيرات البيئية، بل مرحلة يعيد فيها الإنسان صياغة تفاعلاته مع البيئة ومع بعضه البعض على مستوى ثقافي واجتماعي، مما يفتح

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

المجال لتساؤلات حول المستقبل الذي قد يواجهه البشر في هذا العصر الجديد، استخدم هذا المصطلح من طرف Stoermer Eugene F. Crutzen. J Paul اذ يقول "Stoermer" لقد بدأت باستخدام مصطلح "الأنثروبوسين" في الثمانينات" (Will Steffen, et all, 2011, p. 4) ، ذلك لتوصيف "عصر جيولوجي جديد خلال التغييرات التي أحدثها الإنسان: إدارة نصف سطح الأرض، وإزالة الغابات، وتغيير دورة النيتروجين، وتوسع في طبقة الأوزون والتلوث البيئي من خلال الصناعات" (فولف، 2019، صفحة 224).

النقاش حول هذا المفهوم لا يخلو من الجدلية، يرى البعض أن "الأنثروبوسين" يرمز إلى سيطرة الإنسان على الأرض وإدارته للموارد الطبيعية بشكل يمكن أن يكون له تأثير إيجابي أو على الأقل محايد، يعتبره آخرون مؤشراً على الأزمة البيئية العميقة التي أوجدها الإنسان بفعل ممارساته كالتلوث....، وهذا ما يجعلنا اليوم نطرح العديد من التساؤلات فهل نحن في مرحلة انتقالية نحو عصر جديد أكثر فوضوية وانهاياراً بيئياً؟ أم أن الإنسان قادر على التكيف والتغيير، هل نحن في "عصر الإنسان" أم في "عصر الكارثة البيئية" التي صنعها الإنسان بنفسه؟

دخل هذا المصطلح " بسرعة إلى الأدبيات العلمية كتعبير حي عن درجة التغير البيئي على الأرض الناجم عن البشر، وهو قيد المناقشة حالياً باعتباره الوحدة الرسمية المحتملة لمقياس الزمن الجيولوجي" (JAN ZALASIEWICZ et all, 2011,p835) ، تطرح هذه المرحلة من عصر الانسان العديد من الإشكالات الأخلاقية والفلسفية حول العلاقة بين الإنسان والبيئة، لأن الفكرة في أساسها ما معنى أن تكون إنساناً؟ الإنسان في عصر الأنثروبوسين ليس مجرد كائن بيولوجي يتفاعل مع بيئته، بل هو كائن ثقافي واجتماعي يؤثر بشكل عميق في البيئة. في هذه الحقبة، لا يمكن للإنسان أن يتجاهل مسؤولياته تجاهها، بل عليه أن يعيد التفكير في طرق عيشه وتفاعله مع البيئة لضمان العدالة البيئية.

إعادة التفكير حول البيئة ليست مجرد سؤال عن حلول تقنية أو استراتيجيات سياسية، بل هي دعوة لتغيير جذري في كيفية تفكيرنا وعيشنا. هذا التحول يتطلب النظر في الواقع المعاش اليوم من منظور أعمق وأكثر شمولاً، يستند إلى العلاقات بين الإنسان وبيئته. اذ يجب أن يكون هذا التغيير جوهرياً، يشمل جميع جوانب الحياة البشرية: من استهلاكنا، إلى ثقافتنا الاقتصادية، إلى طريقة تفكيرنا.

في الواقع اليوم، أصبح الإنسان جزءاً من منظومة بيئية معقدة تشهد تغيرات كبيرة بسبب الأنشطة البشرية. العلاقة بين الإنسان والبيئة كانت في الماضي قائمة على التوازن، حيث كان الإنسان يعيش الطبيعة ويعتمد على مواردها بشكل مستدام، لكن مع تطور المجتمعات الإنسانية، بدأت هذه العلاقة تتغير بشكل جذري، بدأ الإنسان في استغلال الطبيعة بشكل مفرط، وهو ما أدى إلى ظهور الأزمات البيئية الحالية، فالواقع البيئي الحالي يفرض على المجتمعات الإنسانية ضرورة التفكير في نماذج جديدة من التفاعل مع الطبيعة.

الرؤية الأنثروبولوجية لهذا الموضوع تركز على الفهم العميق للممارسات البشرية، وطرق تفكير الأفراد والجماعات في تعاملهم مع البيئة، هذه الرؤية لا تقتصر فقط على المظاهر البيئية السطحية، بل تمتد إلى التأمل في الجذور الثقافية والفكرية التي شكلت هذه العلاقة عبر التاريخ؛ من منظور أنثروبولوجي، الإنسان لا يعيش في فراغ، بل هو كائن اجتماعي وثقافي دائم التأثير بمحيطه الطبيعي.

في الماضي كانت المجتمعات التقليدية ترى الطبيعة والبيئة التي يعيش فيها على أنها كائن حي ينبض بالحياة، وكانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الوجود الروحي والاجتماعي. لم تكن العلاقة مع البيئة مجرد علاقة استهلاك، كانت قائمة على مبدأ الاحترام المتبادل، حيث كان الإنسان يحترم النظام البيئي ويأخذ منه فقط ما يحتاجه بطريقة تعزز التوازن. إذ كانت الأنماط الثقافية تتماشى مع الممارسات البيئية المستدامة، وكان الوعي البيئي جزءاً من الهوية الثقافية.

على نقيض ذلك الفكر، تطرح الفلسفة البيئية اليوم سؤالاً أساسياً حول "الآخر" في العلاقة بينه وبين الطبيعة، إذا كان الإنسان قد أدرج نفسه في الماضي في دائرة العلاقة المتبادلة مع البيئة أم لا، فإن الرؤية الأنثروبولوجية الفلسفية اليوم تشير إلى أن هذه العلاقة أصبحت أحادية الاتجاه؛ أي أن الإنسان يستهلك دون أن يعير أي اهتمام لتأثيراته طويلة المدى؛ إعادة التفكير في هذه الديناميكية يتطلب العودة إلى فهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والبيئة، بحيث لا يُنظر إلى الطبيعة كمورد فقط، بل كوجود يستحق الاحترام والاعتراف بحقوقه.

من ناحية أخرى قد يتطلب هذا التفكير تغييراً في الطريقة التي نعبر بها على أنه التقدم، هل هو مجرد تحسن في مستوى المعيشة أم أنه يتعلق بعمق فهمنا للوجود وعلاقتنا بالعالم الطبيعي؟ مثل هذا

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

التفكير يعيد طرح الفكرة أن الرفاهية في نظرنا لا تتحقق من خلال الاستهلاك المفرط، بل من خلال التوازن بين الأنشطة البشرية واحتياجات البيئة.

إن الوعي البيئي هو ذلك "الإحساس المتنامي بالمعرفة والفهم والإدراك والتدخل المقصود بكل ما يحيط بالإنسان من بيئات على اختلاف أنواعها ومكوناتها ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال العديد من المؤسسات المسؤولة عن توجيه وتربية وتوعية الإنسان، هي عملية عقلية يمارسها الإنسان تتفاعل فيها جميع جوانب الشخصية والاجتماعية له، إذ تستهدف التعامل الإيجابي وبذل الجهود والمشاركة في حل المشكلات البيئية، ومقاومة وكل ما من شأنه أن يهدد أمنها وسلامتها" (صوراية، 2020، صفحة 3)، ممارسة الوعي البيئي تتطلب تغييراً في طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا اليومية لتقليل تأثيرنا على البيئة. الأمر لا يقتصر فقط على المعرفة حول قضايا البيئة، بل يتطلب أيضاً تطبيق هذه المعرفة في حياتنا.

ممارسة الوعي البيئي من خلال الخلفية السوسيوثقافية تتطلب النظر في كيفية تأثير السياقات الثقافية والاجتماعية على تصورات الأفراد والمجتمعات تجاه البيئة، وكيفية ترجمة هذه التصورات إلى سلوكيات عملية. يختلف الوعي البيئي من مجتمع لآخر بناءً على العوامل الاجتماعية والثقافية، مثل القيم والتقاليد والتعليم. لذا، من المهم أن نأخذ في الاعتبار هذه العوامل عند التفكير في كيفية تطبيق الوعي البيئي في مختلف السياقات الاجتماعية والثقافية، لذلك فإن "تأطير العلاقة بين الإنسان والبيئة مثل تأطير أساليب التفكير" (Thomas Larsen, 2021, p. 4)، إذ نشير هنا إلى كيفية تنظيم وتصنيف أو معالجة الفكر الإنساني للبيئة باعتبارها جزءاً من الأنظمة العلمية، وكما تطرقنا سابقاً إلى فكرة التأطير الديني في الإسلام هناك إشارة واضحة إلى ضرورة الحفاظ على الأرض كأمانة من الله، هذه الأساليب الثقافية تؤثر في كيفية تعامل الفكر البشري مع البيئة. فهنا هي مسألة أخلاقية تركز على الأساليب الفكرية التي تحقق العدالة البيئية. فإن التأطير الثقافي والديني يعزز الوعي البيئي من خلال تسليط الضوء على قيمة البيئة قد يتم تحفيز الفرد على الحفاظ على البيئة استناداً إلى إيمانهم بأهمية الأرض والطبيعة كجزء من هويتهم الدينية.

وهذا قد نصل إلى أهم توصيات هذه الدراسة:

حيث توصي الدراسة بضرورة تعزيز المقاربة الأنثروبولوجية التي تنظر إلى الأزمة البيئية بوصفها نتاجا لخيارات ثقافية، وأنماط عيش واستهلاك أصبحت جزءا من البناء الرمزي للمجتمعات الحديثة، وهذا يستدعي توسيع الأبحاث الحقلية لفهم كيفية تشكّل هذه الأنماط داخل السياقات الاجتماعية المختلفة. توصي الورقة بإعادة صياغة البرامج الأكاديمية بحيث تشمل مفاهيم الأنثروبوسين، الإيكولوجيا السياسية، العدالة البيئية، والتغيرات الثقافية المرتبطة بها، ويُعد هذا التحديث ضرورة لتعزيز الوعي على فهم العلاقة بين السلوك البشري والبيئة.

10. الخاتمة:

التحليل الأنثروبولوجي لعصر الأنثروبوسين يتطلب منا فهماً عميقاً لكيفية تشكل هذه الأنماط الثقافية والسلوكية في ظل الحداثة، والتي أفضت إلى تقاوم المشاكل البيئية. تظهر لنا الدراسات الأنثروبولوجية أن الإنسان، في العديد من المجتمعات تبنى هويته وعلاقاته مع البيئة على أسس ثقافية ودينية وفلسفية تُحدد سلوكيات تجاه الطبيعة. وبالتالي، فإن معالجة ما آلت إليه البيئة اليوم لا يتطلب فقط تغييرات تقنية أو بيئية، بل تحولات ثقافية فكرية في كيفية رؤية الإنسان لوجوده وتفكيره نحوها. أصبح من الواضح أن أي محاولة لتغيير الواقع البيئي يجب أن تبدأ بإعادة التفكير في أسس ثقافية وفكرية جديدة، فالتغييرات البيئية وحدها لن تكون كافية ما لم تدعمها تحولات فكرية في النظرة إلى البيئة ودور الإنسان فيها. وبذلك، نجد أن الأنثروبولوجيا مطالبة بإعادة التفكير في دور الإنسان ليس فقط كفاعل بيئي، بل ككائن ثقافي يتفاعل مع بيئته من خلال منظومات من القيم والممارسات الاجتماعية.

References:

Al-Abhasi, Y. (2015). Julian Steward and the view of ecology-research in cultural anthropology. *AL-Mustansiriya journals of arts*, 28. Doi:

<https://doi.org/10.35167/muja.v0i69.97>

JAN ZALASIEWICZ, M. W. (2011). Introduction. *The Anthropocene – A new epoch of geological time? Philosophical Transactions of the Royal Society A:*

Mathematical, Physical and Engineering Sciences, 369.

<https://doi.org/10.1098/rsta.2010.0339>

إعادة تفكير في أنثروبولوجيا البيئة في عصر الأنثروبوسين هل نحن في حاجة لتغييرات ثقافية فكرية أم تغييرات بيئية؟

Prasetyo, S. F. (2023). *Harmony of Nature and Culture: Symbolism and Environmental Education in Ritual*. *Journal of Contemporary Rituals and Traditions*, 1(2), 2.

Simon L. Lewis, M. A. (2015). *Defining the Anthropocene*. *Nature*, 3. Doi: [HTTPS://doi.org/10.1038/nature14258](https://doi.org/10.1038/nature14258)

Thomas Larsen, e. a. (2021). *Human-Environment Thinking and K-12 Geography Education*. *Journal of Geography*. <https://DOI:10.1080/00221341.2021.2005666>

Ujjal Kumar Sarma, A. G. (2012). *THEORETICAL AND METHODOLOGICAL ISSUES OF ENVIRONMENTAL ANTHROPOLOGY*. New Delhi, India: Printed and published on behalf of the Indira Gandhi National Open University, New Delhi. Retrieved from ISBN-978-81-266-6180-0

Will Steffen, Jacques Grinevald, Paul Crutzen, & John McNeil. (2011). *The Anthropocene: conceptual and historical perspectives*. The Royal Society. <https://doi.org/10.1098/rsta.2010.0327>

ابراهيم فتيحة، و مصطفى حمدي. (بلا تاريخ). مدخل الى مناهج البحث في علم الانسان " الأنثروبولوجيا". الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المريخ للنشر.

البقرة، الآية 30.

رمضاني صوراية (2020). أثر التربية البيئية في نشر الوعي البيئي في المجتمع. مجلة الباحث في العلوم الانسانية، 1(12).

عبد الله الرشيدان. (1999). علم لاجتماع التربية. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

فولف، ك. (2019). التعليم والمعرفة البشرية في الأنثروبوسين. الأردن، عمان: دار الصفوة للنشر والتوزيع.

نورس إبراهيم عبد الهادي. (2019). طقوس الحداد في زيارة الأربعين - المفهوم والوظائف - مقاربة انثروبولوجية وظيفية. وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين المباركة. جامعة كربلاء.

هشام دلوم. (2017). نظرات إرتيابية لقيمة البيئة في التعاليم الدينية: مرسيا إلياد نحو إكتناه حقيقة العلاقة بين البيئي والديني. مجلة الآداب و العلوم الإجتماعية، 14(1).